تقرير

**خليل حرب**
Khalilharb66@gmail.com

# دماء غزّة لم تعد تحرج العالم مجاعة تضغط على هدنة الإبادة

**اكثر من 4 شهور على حرب الابادة التي تشن على الفلسطينيين، ولا تزال مناخات التشاؤم تسيطر على الاجواء المحيطة باحتمالات نهايتها. بينما تشغل واشنطن العالم بفكرة انزعاجها من معدلات الموت بين الفلسطينيين، فانها لم تقدم حتى الان على خطوة حاسمة تجبر حكومة بنيامين نتنياهو على ايقاف الحرب فعليا**

فيما بدا شبح المجاعة يخيم على نحو مليوني فلسطيني في قطاع غزة، ظلت مفاوضات "الهدنة" الموعودة وهي تتنقل ما بين باريس والقاهرة والدوحة، تصطدم بعقبات اساسها ان نتنياهو، ليس في امكانه التزام وقف دائم لاطلاق النار، وانما يسعى الى هدنة موقتة تتيح له ان يقول التالي:

1- انه يستجيب للمطالب الاميركية.

2- انه لا يغضب الشركاء في ائتلافه الحاكم.

3- انه يتجاوب مع الجمهور الاسرائيلي باتاحة الفرصة لـ "تحرير" الاسرى الاسرائيليين في غزة.

في كل الاحوال، ان التقارير في وسائل الاعلام الاميركية تتزايد حول تفاقم استياء ادارة الرئيس الاميركي جو بايدن من سلوك نتنياهو، تخضع لتاويلات كثيرة، من بينها انها مجرد تسريبات القصد منها اساسا الايحاء للجمهور الاميركي ودول المنطقة والعالم، ان واشنطن تبذل اقصى جهد ممكن من اجل كبح الهجمة الاسرائيلية، وبالتالي منع توسع الحرب اقليميا.

في هذه الاثناء، فان هجوم نتنياهو وجيشه على غزة، وان اتخذ طابعا اقل ضخامة، الا ان عشرات الشهداء ما زالوا يسقطون يوميا، بينما تتواصل العدة، سياسيا وعسكريا، من اجل التمهيد للهجوم المرتقب على رفح، عند الحدود المصرية، حيث اجبر اكثر من مليون فلسطيني على النزوح الى هناك هربا من اقسى حملة قصف وغارات عرفتها البشرية في العقود الماضية، والتي وصفت بانها "الابادة الجماعية" الاولى في القرن 21.

حتى الان، تخطى عدد الشهداء الفلسطينيين رقم 30 الف شهيد منذ 7 تشرين الاول 2023، واكثر من 70 الف جريح، بينما تعرضت المنازل والمنشآت السكنية الى اضرار وصلت الى نحو70%. والى جانب مشاهد الموت والقتل والتنكيل وخنق الفلسطينيين حياتيا وطبيا، بدأت مشاهد الجوع والعوز بين الناجين من المذبحة المتواصلة منذ اكثر من 130 يوما، تطفو على السطح، فيما تمنع سلطات الاحتلال الاف الشاحنات المحملة بالمواد الغذائية والطبية والاغاثية من العبور من الجانب المصري للحدود الى قطاع غزة.

ورغم ذلك، تلوح اسرائيل باطلاق مرحلة جديدة من عدوانها، تتمثل في تهجير اكثر من مليون فلسطيني من رفح، الى مناطق كانت اجبرتهم سابقا على النزوح منها، وذلك بذريعة استكمال محاولة القضاء على المقاومة فيها، بما في ذلك حركة حماس التي لا تزال حتى الان تظهر قدرة كبيرة على مقاومة الغزو بعد عشرات الاف الاطنان من القذائف والصواريخ التي دمرت مدن ومخيمات غزة.

يعترف الاحتلال الاسرائيلي حتى الان بمقتل اكثر من 570 من جنوده وضباطه في معارك غزة، بينما تخطى عدد جرحاه اكثر من 3 الاف، بينهم 453 توصف حالتهم بانها "صعبة". لكن حتى التقديرات الاسرائيلية الاخرى، بما في ذلك من المستشفيات، تشير الى ان عدد القتلى والجرحى الاسرائيليين في المواجهات مع عناصر المقاومة الفلسطينية، اعلى من ذلك بكثير، بما في ذلك الاصابات التي نادرا مع يعلن عنها عند ما يسمى "الجبهة الشمالية" مع لبنان.

وتأتي المساعي الاسرائيلية للمضي قدما في الحرب، برغم ان حركة حماس كانت قدمت منذ 3 اسابيع موافقتها على مبدا وقف اطلاق النار بناء على اقتراحات "ورقة باريس" التي قدمت لها (بمشاركة مصر وفرنسا واميركا واسرائيل وقطر)، لكنها اضافت عليها تعديلات جوهرها التأكيد على اهمية التوصل الى هدنة مستدامة، بما يقطع الطريق على احتمال ان يلجأ نتنياهو الى استئناف الحرب، ما ان يتم اطلاق "الاسرى" الاسرائيليين من غزة.

وقال ممثل حركة حماس في لبنان الدكتور احمد عبد الهادي ان الحركة قدمت ردها على اتفاق الاطار الذي صدر عن اجتماع باريس، بعدما تعاملت معه بجدية ومرونة، لكنها ضمنته شروطها التي شملت: وقف العدوان بشكل دائم وشامل، والانسحاب الكامل للاحتلال من قطاع غزة، ومعالجة قضية ايواء اهلنا النازحين، والاعمار، وادخال المساعدات، وتحقيق صفقة تبادل للاسرى تكون جدية ومشرفة، لكن العدو الصهيوني رفض الشروط وعاد الى المربع الاول متجاوزا اتفاق الاطار الذي صدر عن اجتماع باريس، ما يؤكد عدم نية نتنياهو وحكومته لابرام صفقة وانهاء العدوان، لانه يعتقد بان ذلك سيجعل حكومته تنهار ويذهب الى السجن، ولذلك فهو معني باطالة امد الحرب، ويهدد حاليا باجتياح رفح في ظل ارتكاب مجازر، ويوقف ادخال المساعدات ويضيق على الشعب، بهدف الضغط على قيادة الحركة من اجل تخفيض سقف شروطها.

في الوقت نفسه، تتزايد الانتقادات الاسرائيلية الداخلية ضد نتنياهو بسبب مرور كل هذا الوقت من دون ان تحقق اسرائيل اي من اهدافها الاساسية المعلنة، بما في ذلك تحرير الاسرى او اعلان نصر واضح على حماس والقضاء على قيادة الحركة. ووصلت مظاهر الخلافات الداخلية حدا، جعلت رئيس ◄

## "الهستدروت" ونتنياهو؟

**اتهم رئيس الهستدروت (نقابة العمال الرئيسية في اسرائيل) ارنون بار ديفيد رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو بانه المسؤول عن الاخفاق الذي تسبب بهجوم 7 تشرين الاول وعليه الاستقالة، متوعدا بالانضمام الى التظاهرات ضد الحكومة. وقال ان هذه الحكومة "جلبت علينا كارثة"، داعيا الى تحديد موعد لاجراء انتخابات وتنصيب رئيس وزراء جديد خلال عام. وحذر بار ديفيد من ان الهستدروت، الذي في مقدوره تعطيل جزء كبير من الاقتصاد الاسرائيلي، قد ينضم الى التظاهرات والتحركات المناوئة للحكومة اذا حاول نتنياهو التشبث بالسلطة.**

## "قطيعة" بايدن؟

**بينما تتحدث تقارير اعلامية اميركية عن ان الرئيس الاميركي جو بايدن طفح الكيل معه من بنيامين نتنياهو، وانه مثلا اغلق الهاتف في وجهه، او وجه اليه شتائم بذيئة، قالت صحيفة "واشنطن بوست" الاميركية ان بايدن وكبار مساعديه باتوا اقرب الى القطيعة مع رئيس الوزراء الاسرائيلي، وانهم لم يعودوا ينظرون اليه كشريك يمكن التأثير عليه.**
**وبحسب "واشنطن بوست" فان بايدن قال ان الحملة العسكرية على غزة" "تجاوزت الحد".**
**وبرغم ذلك، قالت قناة "اي بي سي نيوز" الاميركية ان بايدن برغم انه يعتقد ان نتنياهو يريد ان تستمر الحرب حتى يتمكن من البقاء في السلطة، الا ان الرئيس الاميركي وصل الى الاعتقاد بأن دعم اسرائيل بشكل لا لبس فيه هو السياسة الصحيحة.**
**وبحسب صحيفة "بوليتيكو" فان القلق الرئيسي لبايدن هو سعي نتنياهو الى جر الولايات المتحدة الى حرب شاملة في الشرق الاوسط، مما سيضمن تدفق الاسلحة والجنود الاميركيين في هذه العملية، واثرها سلبا على وصول الرئيس الى الناخبين الشباب.**

◄ الوزراء الاسرائيلي السابق ايهود باراك يدعو المتظاهرين الى محاصرة الكنيست من اجل اسقاط الحكومة وتنظيم انتخابات جديدة.
كما ان حكومة نتنياهو لم تطمئن الالاف من عائلات المستوطنين في الشمال، للعودة الى مستوطناتهم بالقرب من الحدود مع لبنان، في حين تقول صحيفة "يديعوت حرونوت" ان مكتب نتنياهو يدرس الاعلان عن تمديد اخلاء سكان مستوطنات الجليل في الشمال نحو 5 اشهر. اما وزير الحرب الاسرائيلي يواف غالانت، فانه يربط بين التطورات على الجبهتين الجنوبية والشمالية، ويقول انه في "في حال توصلنا الى تهدئة في غزة، فاننا سنشدد هجماتنا على لبنان الى ان يستسلم حزب الله".
في مؤشرات التصعيد الاسرائيلية، ما يعني ان الحرب قد تتواصل بشقيها الفلسطيني والاقليمي. وتتوزع الادوار بين الولايات المتحدة واسرائيل، حيث تحاول الاولى التعامل مع جبهتي اليمن والعراق (واحيانا سوريا)، بينما تقوم الثانية بمحاولة التعامل مع جبهات غزة والضفة الغربية ولبنان وسوريا. ولهذا تتزايد المخاوف من شرارات هذه الحرب الاقليمية قد تتسع فعليا في الاسابيع المقبلة.
ففي ظلال المحادثات المتنقلة ما بين الدوحة وباريس والقاهرة بحثا عن هدنة وترتيباتها، اصبح من الواضح ان بعض الاطراف العربية بالاضافة الى ادارة بايدن، ارادت اغتنام فرصة اقتراب شهر رمضان، للضغط من اجل اقناع الاسرائيليين بالقبول بوقف اطلاق النار، على قاعدة ان مشاهد الجوع والعوز الخارجة من غزة، ستتسبب بالمزيد من الاحراج للدول العربية التي لم تتحرك جديا حتى الان لوقف الحرب او حتى محاولة الضغط على واشنطن لدفعها الى اتخاذ موقف اكثر حزما بازاء نتنياهو.
كما ان مشاهد المجاعة خلال شهر رمضان، ستكون مثابة الزيت على النار بالنسبة الى مئات ملايين المسلمين حول العالم، وحتى على صعيد ما يسمى "جبهات الاسناد" التي تحاول مساعدة فلسطينيي غزة. وقد بدأت بالفعل ترد تقارير حول حالة وفاة مرتبطة بالجوع خاصة بالنسبة الى الاطفال الرضع. وتقول وزارة الخارجية الاردنية ان استمرار اسرائيل بحربها خلال شهر رمضان "سيعرض المنطقة كلها الى خطر الانفجار".
وربما تحت هذا العنوان، جاء وزير الخارجية الاميركي انطوني بلينكن في جولته الثانية في المنطقة خلال اقل من شهر، حيث انتقل من الرياض الى مصر وتل ابيب لمحاولة وضع لمسات اخيرة على صفقة التبادل للمحتجزين والاسرى، فيما قالت اسرائيل صراحة انها ترفض مطالب حماس من "ورقة باريس" حيث قال نتيناهو انه لن يقبل ان تفرض عليه بنود تحول بينه وبين استكمال "تحقيق النصر"، وهي اشارة واضحة الى رفضه فكرة وقف اطلاق النار الدائم والانسحاب الكامل لقوات الغزو واعادة اعمار غزة والضمانات الدولية التي طلبتها حماس لتشمل روسيا وتركيا وقطر ومصر.
وتنقل الاذاعة الاسرائيلية عن مصادر قولها انه برغم استمرار المحادثات، الا ان هناك تفاؤلا بأن يتم التوصل الى تفاهمات قبل شهر رمضان. اما موقع "والاه" الاسرائيلي فقد اشار الى ان الخطوط العريضة للتفاهمات التي تم وضعها في باريس، فانها تتضمن اطلاق المئات من المعتقلين الفلسطينيين في مقابل اطلاق ما بين 35 او 40 من الاسرى الاسرائيليين، وهي معادلة تتخطى كثير الصفقة السابقة التي كانت بنسبة (1 في مقابل 3). كما ان اسرائيل ستكون مضطرة وفق التسريبات المتعلقة بالصفقة الجديدة، الى ان تفرج عن فلسطينيين شاركوا في عمليات مقاومة ضد الاحتلال.

## "تطهير" الضفة

**كتب رئيس الوزراء الاسرائيلي الاسبق ايهود اولمرت في صحيفة "هارتس" قائلا ان الهدف النهائي لعصابة المتطرفين (وزير الامن القومي ايتمار بن غفير ووزير المالية بتسلئيل سموتريتش) هو "تطهير" الضفة الغربية من الفلسطينيين، واخراج المسلمين من المسجد الاقصى وضم الاراضي الفلسطينية الى اسرائيل.**
**ونقلت تقارير عن بن غفير قوله انه لا يوجد شعب فلسطيني، فهذا اختراع جديد.**

الى جانب المخاوف الاردنية من خطة الهجوم على رفح، ظهرت مخاوف مصرية متزايدة نظرا الى حساسية الهجوم الاسرائيلي على رفح، عند الحدود مع مصر، حيث تتخوف القاهرة من ترحيل الفلسطينيين بالقوة الى سيناء، وبالتالي تنفيذ مخطط التهجير القسري الذي تردد مرارا خلال الشهور الماضية، وتجاهر به قيادات اسرائيلية بشكل علني. وقال وزير الخارجية المصري سامح شكري ان اي عملية عسكرية في رفح ستشكل تهديدا مباشرا لامن مصر القومي، وان القاهرة ابلغت الاسرائيليين انها مثابة خط احمر، وقد تكون لها تبعات كارثية.
وهددت مصر عبر قنوات غير مباشرة بتعليق معاهدة السلام مع اسرائيل الموقعة في العام 1979 المعروفة بـ"كامب ديفيد" في حال بدأت عملية عسكرية في رفح تسببت بتهجير الفلسطينيين.
في كل الاحوال، ان التحركات الاميركية، والعربية الخجولة حتى الان، بالاضافة الى دعوات انطلقت من عواصم غربية بما فيها لندن، عادت لتنادي بتطبيق خيار "حل الدولتين"، كوسيلة لمعالجة الصراع. الا ان الكنيست الاسرائيلي (البرلمان) صوت على قرار يحظر الاعتراف بدولة فلسطينية وخيار الدولتين وذلك بغالبية كبيرة (99 نائب من اصل 120). والتصويت هدفه التصدي للدعوات الدولية لاقامة دولة فلسطينية "من جانب واحد".